مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تقوم الوسطية الإسلامية على تبني خط يبتعد عن التشدد والغلو من جهة ، وعن التسيب والتقصير من جهة ثانية . وهي ليست مذهبا فقهيا أو عقديا خاصا ، ولا تجمعا حزبيا أو طائفة ، بل هي منهج يستمد أصوله من توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

وإن الوسطية المذكورة في الآية الكريمة : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣] ، وإن شرحت لدى المفسرين بالخيرية والعدل ، فإن هذه الصفات ، بالنظر لأصل المفهوم ، ناتجة عن البعد عن طرفي الإفراط والتفريط . وهو ما أكد عليه العديد من العلماء المعتبرين .

فذهب ابن جرير الطبري إلى أن الله تعالى إنما وصف المسلمين بأنهم وسط لتوسّطهم في الدّين ، فلا هم أهل غلو فيه ولا هم أهل تقصير فيه ، قال : « ولكنهم أهل توسّط واعتدال فيه ، فوصفهم الله بذلك ، إذ كان أحبّ الأمور إلى الله أوسطها »[1] .

أما ابن قيم الجوزية فبعد أن يؤكد أن دين الله تعالى بين الغالي والجافي ، وأن

(١) تفسير الطبري (٢/ ٦) .

خير الناس النمط الأوسط بعيدا عن تقصير المفرطين وغلو المعتدين ، يقول : « وقد جعل الله سبحانه هذه الأمة وسطا ، وهي الخيار العدل لتوسطها بين الطرفين المذمومين ، والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط » [١] .

ومن هنا فإن الوسطية هي حالة من التوازن بين التشدد والشذوذ من جهة ، والتهاون والتقصير من جهة ثانية . وهي منهج في الحياة ، يرتبط بمختلف جوانب النشاط البشري ، فهي منهج في فهم الشرع ، ومنهج في التدين ، ومنهج في العمل الدعوي والاجتماعي والسياسي ، ومنهج في التعامل مع الآخرين .

ومن أسباب الابتعاد عن الوسطية وجود اختلالات لدى العقل المسلم في فهم مصادر الدين نفسها من كتاب وسنة ، ووجود الكثير من الاضطراب في منهج التعامل معهما .

وهذا ما أشار إليه الحديث الشريف : « **يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله : ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين** » [٢] .

فهذه ثلاث آفات حذر منها الرسول ﷺ وهي :

ـ الغلو في الدين بتحريف نصوصه ومبادئه وأحكامه .

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٢١٠) .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (١/ ٥٨، ٥٩) ، والخطيب في « شرف أصحاب الحديث » وغيرهما ، وللعلماء مقال طويل في مدى صحته ، لكن صحح بعض طرقه الحافظ العلائي والإمام أحمد ، انظر : محمد ناصر الدين الألباني : مشكاة المصابيح (١/ ٨٢، ٨٣) .

ـ إبطال دلالات العلم الذي أتى به الرسول بأن يضاف إلى الشريعة ما ليس منها .

ـ الجهل الناتج عن التأويل غير المبني على أساس من العلم ، وهو المؤدي كثيرا إلى التهاون والتفريط في الدين وأحكامه .

والوسطية هي التعامل مع العلم الذي أنزل على الرسول ﷺ بعيدا عن هذه الآفات التي حذر منها . لكن ذلك لا يصدق فقط على التعامل الجزئي مع النصوص ، ولكن يصدق بالأساس على المنهج العام في التعامل مع السنة النبوية الشريفة . ومن هنا فإنه إذا كانت حجية السنة أمرا مفروغا منه ، وثابتا بنصوص القرآن وسنة الرسول ﷺ ومنعقدًا عليه إجماع الأمة ، فإن كثيرا من القضايا المرتبطة بتعريف السنة وتصنيفها بقي الاهتمام بها دون المستوى المطلوب . وشاع الخلاف حول بعضها ، مما كان له أبلغ الأثر على عقلية المسلم المعاصر وفهمه للدين وأسلوب تنزيله على الواقع من حوله .

ومما شاع فيه الخلط والغلط كثيرًا ثلاث قضايا هي :

ـ تعريف السنة ، ما بين مضيق ومتوسع .

ـ علاقة السنة بالوحي ، مابين من يعتبر كل أقوال وتصرفات الرسول ﷺ وحيا ، وبين من يعتبر كل ما ورد في السنة تصرفات بشرية لا صلة لها بالوحي .

ـ تنوع التصرفات النبوية ، بوصفه معطى منهجيا يتكامل مع القضايا

الثلاث الأول ، وله تطبيقات كثيرة في تفاصيل السنة وتفاصيل سلوك المسلم .

ونهدف هنا إلى تقديم الموقف الوسط والأرجح من هذه القضايا ما بين موقفي الإفراط والتفريط .

فهو الذي يضمن اتباع الرسول ﷺ كما يريده منا الشرع الحكيم ، مع التأكيد على أن تلك القضايا مترابطة ، وأن التمييز بينها تمييز منهجي محض .

وأرجو من كل من لديه ملاحظات أو استدراكات أن يمدني بها ، فرحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي [١] .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة] .

آمين ، والحمد لله رب العالمين .

*****

(١) على البريد الإلكتروني : elotmanis@gmail .com .